

فروف كابول

قصة



الكاتب
جمال بن عبد الله الحيان

الترقيم الدولي :

ISBN : 765-5432-34-733-7

تحقيق ومراجعة : 

تحقيق ومراجعة :

   الشرطي الخل والصديق

إهداء

لمن يعيشون نفس السيناريو في كل عام

واقتراب يوم العيد ...

للدراويش الذين يعيشون الويلات واقتراب يوم

العيد ...

للذين عرفوا الجانب المؤلم من فرحة اقتراب

يوم العيد ...

لأهل الفاقة المفلسين ...

فستان راميز

بقميصه المخطط وسرواله المرقع ، يتهدد ويفكر ثم يقول:

_ نعم بالفعل ، إنها مصيبة ...

وهو يشكو في سره حظه البائس وقد نهضت زوجته
وبصفت وهي تحك خدها بين الحين والحين ...

بحاجبيها الكثيفتين المتهدلتين وبصوتها الأبح تدمدم وهي
تطرق عينيها :

_إنها مصيبة يا عزيزي مانسو ، لم يتبق سوى ثلاثة
أيام عن موعد العيد ، وليس لدينا ولا أفغاني واحد من
ثمن الخروف ، ولقد أصبح في وسعنا فجأة أن نخرج
لطلب الصدقات ...

ما رأيك ...!!

ضحك مانسو ضحكة سخريّة قصيرة وهو يزر عينيه في زوجته حبيبة بارتياح :

_أصبح في وسعي الآن أن أخبرك أنني لا أستطيع ذلك، وأحاول قدر الإمكان أن أجد حلا في أقرب وقت من أجل الصّبيّة التي لا تعرف شيئا عن العجز والفاقة .

عانقت حبيبة زوجها عنقا شديدا ، وأغرقتة بقبلات لا حصر لها ولا عد ، ورغم أنه ليس في مزاج رائع للرومانسية ، إلا أن المواساة قد تعطيه أملا من جديد .

يسير مانسو في شوارع كابول دون أن يلاحظ أي شيء وهو يفكر ويفكر ...

ويبتسم لأصدقائه ومعارفه ابتسامة أليمة حزينة ، فلم تنقطع الدموع عن الجريان على خده وهو في خلوته ، كيف وكلمة دخل بيته المتواجد بقلعة الزمان خان بالجزء الجنوبي من المدينة ، استقبلته ابنته راميز وهي متشوقة لرؤية خروف العيد وهي تقول :

_أبي ... هل اشتريت الخروف ...!!

لقد سألتني صديقتي رومال عما إذا اشترينا الخروف ،
ولكن لا تقلق يا أبي ... لقد قلت لها أنك اشتريته وتركته
عند صاحب المواشي بضاحية المدينة ، هكذا أخبرتني
أمي، أليس كذلك يا ماما ...!!!

على كل حال يا أبي ، لم يتبق سوى يومان ، أي أنه لم
يتبق وقت كاف ، وأنا بحاجة لشيء من الملابس الجديدة ،
فأخذت صديقتي رومال فستانا أحمرًا جميلًا ، ولقد
وعدتني أمي أنك ستشتريني لي واحدًا مثله ...

_أكيد يا حبيبتي ، وهل لنا أحد غيرك في هذا
العالم..تعالى عانقيني بحرارة يا ابنتي الصغيرة .
_شكرا لك يا أبي ، أنت أفضل أب في العالم .

نظر مانسو لزوجته نظرة حنق ، للموقف الذي وضعت
فيه، وكيف ستشعر البنت راميز حين معرفتها الحقيقة ،
وكيف ستعيش الحزن والكرب وهي في سن مبكرة لا تفهم
شيئا ...

وما أغزر ما درفت حبيبة تلك الليلة ، ولكن ما عسى
يحدث حينذاك سوى ما قدره الله .

فبصرف النظر عن قضية العيد يا حبيبة ، ماذا أعددت
للعشاء ، فأنا جائع ، وليست لي رغبة في التفكير حتى .

أجابت حبيبة بصوت مرتعش :

لقد أعددت طبق البولاو ، إلا أنني لم أضف له اللوز
والزبيب فقد نفذ منذ أربعة أيام ، وبعضا من خبز التَّميس،
وأظن أن الدقيق قد نفذ أيضا .

خيم صمت كصمت القبور ، ومانسو يبتسم بسخرية بكثرة
الهموم التي تفاقمت فجأة وهو ينظر لابنته راميز وهي في
أحضان أمها بشعرها الأسود الناعم ، ويديها الصغيرتين
الناعمتين وملابسها البسيطة ... بل البسيطة جدا ...

ترقد بسلام وهناء ، وهو يحمل كل الهموم ، وفجأة يشع
وجهه سرورا وهو يحمد الله على كل شيء ، رغم الفاقة
وقلة ذات اليد .

هو مانسو الرجل الضخم ذي الرأس الكبيرة جدا ، والقبعة
المنزلقة على قفاه ، الذي أصيب بالملل القاتل وقد بدأ
اليأس ينخر فكره وعقله .

يخاطب زوجته وهو يسرد أحداث يومه الممل :

_ لقد جلست اليوم بطولته على رصيف الشارع قرب
ساحة الإمام قادر ، أنتظر أحدا يبحث عن عامل أو مياوم ،
لقد مر اليوم كسائر الأيام السالفة ، مر بملل فظيع لا
أستطيع أن أصفه لك يا حبيبة ، ظلت أحرق في المارة
كالأحمق ، وكما تعلمين فأنا لم أجن شيئا اليوم ، وبقي
يومان ، ولم يتبق سوى رفع أكف الدعاء :

_ اللهم إني أشكو لك عَجْرِي وِبُجْرِي ...

زَمَّ شَفْتِيهِ بِطَرِيقَةِ دَرَامِيَةِ وَهُوَ يَقُولُ :

_ هَكَذَا إِنَّ هِيَ الْحَالُ ... !!

تناولا العشاء وهما يتبادلان أطراف الحديث ، يستأنسان
ببعضهما البعض ، وبعد الإنتهاء خلد مانسو إلى النوم
وهو منهأز من كلّ الجوانب ...

لقد نام وكله أفكار عن كيفية شراء الخروف ، وهو يحلم
بكل خراف كابول ، ويعيش وهما ينسيه مرارة واقعه ...

استيقظ في الصباح الباكر وقد عادت له حواسّه التي
تؤلمه وتشعره بالألم ، بقي متمددا على الفراش وهو
يسمع كل همس ... ينتظر شيئا مجهولا ...

وحيا ...

هبة ...

فرجا ...

أيّ شيء قد يأتي بخروف العيد ، وبعد صمت قصير
أضاف :

هكذا إذن هي الحال ... !!

أتبعه بفترة صمت طويلة ، غادر خلالها نحو المجهول
وهو لا يدري إلى أين ...؟؟

غادر مانسو شاعرا بانسحاق تام ، يتمشى على طول
الطريق في الإتجاه المعاكس ، ولم يستطع جمع أفكاره ولا
صياغتها ، وبدأ يحدث نفسه :

_ سأتوجه نحو بيت صديقي عبد الرحمان ، وسأطلب
منه قرضا ، سأرى ... سأتوكل على الله ... انتظر ... انتظر ،
يبدو أنّ زوجته لا زالت تسيطر عليه ... !!!

أحقا ... أنا أحتاج رجلا يقرضني مالا ...

دعنا نترك الأمر على هذا الحد ... إن لم أفعل ذلك من أين
سأتي بالنقود إذن ... سأتناول مشروبا باردا منعشا
وسأرى ...

كانت هذه افكار مانسو المبعثرة ، وقد قرر وأخيرا ... إذ لا
قرار في البديل أصلا ... قرّر أن يزور صديقه عبد الرحمن
ويخبره ويصارحه ... لم يتبقّ منفذ ولا مكان يلجأ إليه
مانسو .

لقد أفعم بالحياة حين عزم على زيارة صديقه ، وقد شحذ
همته ، واختفت الحيرة والتردد ، وراودته أفكار جريئة ،

وتطورت الأمور إلى أسرع ما كان يأمل ، وبدأ قلبه يخفق
بسرعة .

اتجه مباشرة نحو حي وزير أكبر خان الذي يعتبر من
المناطق السكنية الراقية في كابول ، يمشي وكله أمل في
مساعدة صديقه له ، لقد كانا صديقي الطفولة ، وشاء الله
أن يأخذ كل منهما نصيبه من الدنيا ... طبعاً هي
الحياة ... هكذا ...

وصل للحي بعد ساعة ونصف من المشي ولا زال هاجس
ابنته راميز يقلقه ، وقف أمام بيت كبير بحديقة دون
حارس ، ضغط على الجرس مرتين متتاليتين وقد أجابته
الخادمة :

_من ... !!

_أسأل عن عبد الرحمان .

_من يسأل عنه ... !!

_قولي له : مانسو ... سيعرفني بكل تأكيد .

_انتظر ...

انصرفت الخادمة نحو الصلاة لتخبر عبد الرحمن عن
الزائر الغريب ، ومانسو بجوار الباب الكبير يستريح وهو
ينتظر الفرج من الله ، والعجيب الصادم أن الخادمة لم
تغلق السماعة فكانت أصوات المحادثات تسمع بكل
وضوح، وقد تملك مانسو الفضول وهو يسمع بكل صفاء
ما لا يحتمل تأويلا أبدا ...

_ سيدي عبد الرحمان ، هناك زائر يسأل عنك اسمه
مانسو ...!!?

_ نطقت ساشا زوجة عبد الرحمان :

_ ذلك الهمجي المتشدد ...ماذا يريد !!

ألم أقل لك يا عبد الرحمن أن صديقك هذا ليس من طينتك
ولا حتى ممن يستحقون جميلك وصنيعك ...

وبينما كان الصمت العميق يسود المنزل ، كان مانسو
يسمع كل شيء ...

ودمدم عبد الرحمن وقد أربكه كلام زوجته قائلا :

_أخبريه يا سينا أني متعب قليلا ، ولا أريد مقابلة
أحد، وأظن أنه أتى ليقترض مالا ...

_نطقت ساشا في تبسم :

_ وهل هناك شيء آخر يا حبيبي قد يجعله يزورك،
ألم أقل لك أن هؤلاء المتدينين الهمج لا يستحقون ذرة
رحمة ، ولقد كرهته منذ أن امتنع عن مصافحتي في تلك
الليلة ، وأرى أنه ليس من اللائق أن تكلمه من جديد ..
سافل ... همجي ...

وفجأة تردد صوت مكتوم من السماعة ، وقد طرف مانسو
بعينيه ، ووضع يده على قلبه وهو يقول بصوت منفعل ،
دمدم من خلاله مانسو مصعوقا :

_سامحونا أزعجاكم ، وقد تجاوزت كل الحدود يا
سيدي المحترم عبد الرحمان ، واعلم أنك لا زلت صديقي
مهما غيّر الزمن من مشاعر ...

سامحونا أزعجاكم ...

ولكن ...

بعد هذا كله !!... !!

لا لزوم لذلك ...

ما الداعي !!... !!

فانصرف مانسو مذلولاً مخذولاً .

ذهل عبد الرحمان ، وأسارير السرور على وجنتي ساشا ،

لقد كان موقفاً محرّجاً ، صادماً لعبد الرحمان خاصة ، وهو

يحس بالعار والذل والمهانة ، وقد تذكر شريط الصداقة في

تلك اللحظة بالذات ، لم يصدق نفسه ... لم يصدق ...

وبعد نصف ساعة من الذهول والندم ، وقف وهو يحك

خلف أذنيه ببطئٍ وتحنح ثم تمخض بترددٍ ودمدم :

_ يجب أن ألحق به يا ساشا ... الآن

_ ماذا تقصد ...؟!

فاجاب عبد الرحمان غاضباً :

_ كنا أنا ومانسو في وقت ما اصدقاء أوفياء ، لقد كان

حبا صادقاً لا تشوبه أية مصالح كما تزعمين ، ولطالما

دافع عني بين أطفال الحي الأشفياء ، لقد كنت كأخ له ،
وكان كأخي الأكبر ، لا أظن يا ساشا أنك على صواب هذه
المرة ...

لا أظن يا ساشا أنني أفعل الصواب ، ولا أستطيع أن أعيش
في هناء وصدقي مانسو يحتاج إليّ ...

حك خلف أذنه مجدداً ومضى يفكر ، وبعد تفكير طويل ،
تذكر صديقه الطيب ، واغرورقت عيناه من بؤس العالم
وظلمه ، وخرج يجري ويجري في أثر صديقه مانسو ،
وبقي على حاله حتى وصل إلى الجسر على نهر كابول ،
وقد وجد صاحبه يتأمل النهر ويبكي بحرقة ...

اقترب منه ، وعانقه بحرارة وهو يقول :

_ اطلب ما تشاء يا صديقي العزيز ...فأنا لك ما دمت

حيًا ...وسامحني على ما صدر مني ...أرجوك ...

وأنا لك سند ما حييت ...دائما ...

قم ...وأخبرني ...ما الذي تريده ...!؟

تعال ...فلنتمش قليلا ، فغدا العيد ...

تعال نتذكر أيام الطفولة ... أحبك يا صديقي مانسو ...

لقد استطاع في اللحظة الأخيرة أن يضمن ثمن الخروف ،
وفستان راميز ، وقد استطاع عبد الرحمن أن يراجع نفسه
في نصف ساعة ويتخلى عن سموم ساشا القاتلة .

ومضى مانسو إلى البيت سعيدا مسرورا .

هكذا إذن هي الحال ...؟!!

هكذا هي حال كل خراف العالم ، وليس خراف كابول

فقط...

انتهى

تم بحمد الله وكرمه في 28 ذي القعدة 1441 هـ / الموافق

ل29 يوليو 2020 م .

